قصة مصرية

آمال

هناك فى واحة سيوة، تلك الواحة القائمة فى وسط الصحراء كأنها بلدة ضائعة بين كثبان الرمال المتوهجة ، تألبت الأقوام فى يوم من أيام الصيف للاحتفال بعيد وطنى كبير . وكلهم من أبناء الصحراء الضاربين فى تلك الواحة، أو من أولئك الذين يرحلون من مكان لآخر طلباً للكلأ والمرعى .

اجتمع القوم هناك ، ونصبوا معالمهم وخيامهم على حدود الواحة المشرفة على الصحراء وأخذوا ينشدون الأناشيد وينحرون الذبائح ، وقد اجتمع الفتيان والفتيات ، وألفوا حلقات رقص وقد عمل كل بخمرة العيد .

***

عبد الغنى شاب مزارع ، معروف فى الواحة بأمانته وأدبه ، نحيل القوام مثل كل سكان الواحات، أسمر الوجه يشعر الناظر اليه بجاذبية، لسحر عينيه السوداويين، وكان لا هم له سوى إعالة والدته وتحسين زرعه ، وكان مجتهداً نشيطاً فى مزرعته ، حتى أنه فضل أن يشتغل فى ذلك اليوم على أن يشارك قومه أفراحهم عند العصر .

وعند ما ابتدأت الشمس تميل وأخذ النهار يزول ، ذهب عبد الغنى الى منزله ، وارتدى أحسن ملابسه ، وأخذ طريقه الى طرف الواحة ، حيث خيام العيد منصوبة ، لكى يروح عن نفسه عناء العمل طيلة اليوم ، وكان كلما مر فى أحد الشوارع يجده مقفراً الا من أناس قليلين . اذ قد ذهب معظم أهل الواحة الى الخيام المضروبة فى أطرافها ، وبينما عبد الغنى قد قرب الوصول اذ أبصر فتاة راقدة بجانب جملين تبكى بكاء مراً .

اقترب منها عبد الغنى فوجدها فتاة هيفاء بديعة القوام ، مليحة الوجه ، لم تناهز بعد الربيع الثانى من حياتها ، فأشفق عليها وسألها ، لم تبكين يا فتاة ؟ فازدادت الفتاة بكاء ، وأخذت تنتحب حتى كاد أن يغمى عليها ، فانحنى عليها عبدالغنى ، وأخذ حفنة من الماء فى كفيه من جرة على أحد الجملين ، وصبه على وجهها فاستفاقت ، وفتحت عينيها ، فأجلسها عبدالغنى وأخذ يتأمل وجهها قليلا ، فشعر عندئذ بدافع غريب نحوها لا يعلم ما كنهه ، إذ أخذ قلبه يدق سراعاً ، وجسمه يزداد حرارة .

فسألها ثانية لم تبكين ؟ فاجابته : لقساوة الدهر على . فقال لها ، لم أفهم غرضك بعد ، أين أبوك ؟ فاجابته ، أبى فى مصر

فسألها : ألا يوجد لك أقارب ؟ فاجابته ، لى أعمام ثلاثة ، ذهبوا الى الخيام ليعيدوا ، وأبقونى عند الجملين لأحرسهما ، وقد توفيت والدتى ، وكان عمرى ست سنوات ، فتركنى أبى الى أعمامى ، وذهب هو إلى مصر ولا أعلم عنـه شيئاً الى الآن ، وقد أذاقنى أعمامى من صنوف العذاب ألواناً ، وأشكالا ، وجعلونى شبه خادم لهم ، كما ترى بعينيك الآن . وما كادت تنتهى من كلامها ، اذ أبصرت الفتاة دمعتين تنزلان من مقلتى الفتى ، وقد أشاح بوجهه حتى لا تراه .

فسألته ، لم تبك ؟ فلم يجبها ، وقد هم بالذهاب فمسكت بتلابيبه ، وحلفته بأعز عزيز لديه أن يخبرها عن أمر بكائه ، فـا كان منه الا أن نظر الى وجهها ثانية ، فتلاقت النظرات وسرت فى كل من الجسمين قشعريرة قوية لا يعلما ما كنهها ، فتلامست أيديهما ، واقترنت شفاهما ، واختلط ريقهما ، وطبع الفتى أول قبلة فى حياته على شفتى الفتاة ، فارتمت هى بين أحضانه وقد غابت مشاعرها وسكرت من رضاب الفتى .

غابت الشمس ، وأخذ القمر يرسل أشعته الفضية على الرمال فيكسب المكان جمالا ، وقد هم الفتى بالذهاب الى الخيام ، فقالت له : أين أنت ذاهب ؟ فأجابها : الى العيد . فقالت : وتتركنى وحدى ؟ فحزن الفتى ، وشعر كأن نياط قلبه تتقطع ، فقال لها : قومى واذهبى معى ، قالت : أخاف من أعمامى . فسكت الفتى ، ولم يدر بماذا يجيبها ، فقالت له : ألا تمكث هذه الليلة معى ، فأجابها : أكون لك من الشاكرين ، ثم افترش الفتى عباءته وجلس وأجلس الفتاة بجانبه ، وضمها الى صدره وأخذ يداعب شعرها الذهبى المتعكس على ضوء القمر الفضى ، وسألته ما اسمك ؟ فقال لها : عبد الغنى ، وسألها ما اسمك أنت ؟ أجابته : آمال فردد الفتى صوتها ، آمال ! آمال : يالله من اسم ساحر كصاحبته ! إنه اسم جميل ! فعلت وجه الفتاة حمرة الخجل ، ولم تدر بما تجيبه ، فاقترب الفتى من أذنها ، وقال لها : أحبك يا آمال فما كان من الفتاة الا أن ارتمت على صدره ، وقالت : أنا أيضاً . تعاهد العاشقان على الزواج ، وما تعاهدا إلا على شرف مافى الحياة ، فأقسما قسم الحب ، وأخذا يبنيان الآمال ، وما عسى ستكون حياتهما فى المستقبل ، واتفقا أن يذهب الفتى الى أعمامها ، ويطلبها منهم فى أقرب وقت .

رفض الأعمام هذا الزواج، وكان لهذا الرفض أسوء أثر فى عبد الغنى وآمال ، ولكى ينفذ الأعمام كلامهم ، أسرعوا بزواج آمال بأحد أقاربها . علم عبد الغنى فاستشاط غيظاً ، وكاد يطير عقله ، وعلمت آمال بذلك فذهب قلبها شعاعاً ، وبكت بكاء مراً ، كيف تهب قلبها لمن لا تحبه ؟ وكيف تعطى جسمها لرجل لا تعبده ؟ أجل أنا لا أحب الا عبد الغنى ، بذلك صرحت لأعمامها ، فضربوها ضرباً مؤلماً ، فبكت وبكت ، ولكن لا ينفعها البكاء ! ! .

اختفى عبد الغنى طيلة هذه الأيام فى منزله ، وقال لا بد أن لا أنفذ هذا الزواج ، وفى ليلة الزفاف بعد انصراف الجمع المحتشد لحضور هذه الليلة ، وبعد أن نام الجميع سوى العروسين فى غرفتهما المنعزلة . . . كان الناظر ليلا يشاهد فتى ملتف بعباءة سوداء يتسلق جدران المنزل ، ويعالج نافذة الغرفة لكسرها ، حيث يخرج منها بصيص من النور ، كسرها بدون أن يشعر أحد بذلك ، ونظر الى الداخل فوجد آمال راقدة تبكى بكاء مراً ، وزوجها بجانبها يداعبها ويلاطفها ، وهى تقول له : لا ، لا . فجن عبد الغنى جنونه ، وقفز الى داخل الغرفة حالا ، فانذهل الزوجان ، وللحال أخرج عبد الغنى مدية حادة من تحت معطفه ، وطعنها فى قلب ذلك الرجل الذى سلب قلبه ، وأمات آماله ، وقد أبقى عليه الى أن أسلم روحه الى خالقها ، وعندئذ التفت الى آمال ، وقال لها ، لم تبكين يا آمال ؟

فارتعبت الفتاة ، وقالت أعبد الغنى أنت ؟ قال لها نعم ، أنا حبيبك السابق . قومى ، وأسرعى لنهرب من ذلك المكان ، فقالت آمال ، لم قتلت زوجى ؟ : ألم تعلم أنك لا تخلو من العقاب ؟ فأجابها ، أعلم ذلك كل العلم ، قومى وأسرعى . ولا تخافى من شىء وسأذهب بك الى مكان لا يعلمه سوى الله .

فحملها بين ذراعيه ، وبينما هو يتسلق النافذة اذ وقعت الطاولة الواقف عليها . فاحدث سقوطها صوتاً مريعاً ، ووقع الحبيبان على أرض الغرفة

استيقظ أهل البيت مرعوبين ، ودخلوا الغرفة حالا ، فجمدوا فى أماكنهم لهول المنظر ، الزوج مقتول مضرج بدمائه ، وآمال مرتمية على الأرض بجانب حبيبها السابق : عبد الغنى . صاح الجميع بصوت واحد القاتل ! ! القاتل ! !

أمسكوا عبد الغنى ، وربطوه بالحبال ، وحملوا القتيل وذهبوا الى القاضى لينظر فى الأمر . وأودع عبد الغنى السجن رهن محاكمته ، ودفن الزوج بمشهد مريع فى الصباح .

الحـكم

علمت القرية بتلك الحادثة المحزنة ، وانتظروا الحـكم بفروغ صبر . وفى اليوم المحـدد لصدور الحـكم على عبد الغنى ، اجتمع القوم منذ الفجر ، وأخذوا يفدون على ساحة المحكمة وحضر الأعمام وأقارب الزوجة والزوج المقتول .

أما آمال فقد هربت من منزلها ، وذهبت مختفية لترى ماذا سيحل بحبيبها ، وأخذت مكاناً منزوياً لكى لا يراها أحد .

وفى الساعة المحدودة دخل القاضى ، وأدخـل عبد الغنى يحرسه جنديان ، وأوقف فى قفص الاتهام .

إشرأبت الأعناق ، وحبست الأنفس ، ووقف الجميع ، وكأن على رءوسهم الطير .

أعلن الحاجب بصدور الحـكم

وقف القاضى وقال بصوت مرتفع :

حكمت المحكمة ببراءة عبد الغنى .

انذهل الجمع المحتشد ، وقالوا فى أنفسهم ، كيف يعفى القاتل من الجريمة ؟ !

وكأن القاضى علم ذلك فتابع كلامه وقال :

أجل : حكمت المحكمة ببراءة عبد الغنى من تلك الجريمة ، لأنه لم يدفعه الى ذلك القتل سوى الحب ، وحيث أن الحب يتسلط على النفوس والقلوب ، فلا يقدر أحد أن يصده ، فجريمة القتل التى ارتكبها عبد الغنى ، لم يرتكبها بمحض ارادته بل بدافع فى قلبه أجبره على ذلك ، هو الحب ، وحيث أن الحب كلمة معنوية لا تقع تحت عقاب أو قصاص ، فعبد الغنى برىء من تلك التهمة .

وللحال علا التصفيق ، وهتف الجميع ليحى العدل ! ليحى العدل ! !

وبينما القوم يصفقون ، ويهتفون إذ سمعوا صوتاً رقيقاً نحيـلا يقول ، أين حبيبى عبد الغنى فوقفوا ليروا من أين آت هذا الصوت الرقيق ؟

وللحال هجم عبد الغنى وسط الجمع المحتشد ، وقال : ها أنا يا آمال ، فارتمى الحبيبان على بعضهما ، وأغمى عليهما من شدة الفرح

وفى اليوم الثانى تألبت الأقوام ثانية لا لحضور عيد وطنى ، بل لحضور حفلة زفاف عبد الغنى على حبيبته آمال ؟

س . نجيب . ك